كالتكلم والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به
سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة
أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم
الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا الطول
فلينكح فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما
يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف
يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله
عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن يلقى الله
عزبا فإن قيل كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى
بن زكرياء عليه السلام قد أثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورا
فكيف يثني الله بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله تعالى
على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو
لا ذكر له بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه
معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن
عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم

قمعها

قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام أو بكفاية من الله تعالى
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الأوقات
حاطة إلى الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب
فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم
الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست
من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام
حبب إلي من دنياكم فدل أن حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمر
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي
ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما يحض على
الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه
ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة
عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة في القيام
بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير
منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس أنه
صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي عليه السلام
قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى
مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر

Copyright © King Saud University